قراءة تداولية في معجم لسان العرب لابن منظور
نماذج مختارة.

A pragmatic reading in the Lisan Al Arab dictionary by Ibn Manzur
selected models

د. نصيرة بن منصور
benmanssour1994@gmail.com
مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الأغواط

الملخص:

تندرج هذه الدراسة في صلب التراث المعجمي العربي القديم برؤية لسانية حديثة، وفقا لآليات التداولية التي تهتم بالاستعمال الفعلي للغة كخطاب صادر من مرسل إلى متلقي، وبوصفها ظاهرة خطابية وتبليغية واجتماعية في نفس الوقت بين المتكلمين في ظل سياق لغوي وغير لغوي منطلقين من افتراض مسبق مؤداه أن التراث العربي تراث تداولي بامتياز.

وعلى هذا الأساس تسعى هذه الدراسة إلى تتبع بعض مبادئ اللسانيات التداولية وملامحها في الصناعة المعجمية في أحد أضخم وأوسع انتاجها، ألا وهو «**لسان العرب** " لابن منظور، وإن كانت تختلف معه من حيث الاصطلاح عن الجهاز المفاهيمي لنظيره عند الغرب، إلا أنهما يلتقيان في نفس الأفكار والرؤى والتوجهات العلمية بينهما.

الكلمات المفتاحية: المعجم، لسان العرب، اللسانيات التداولية، السياق.

Summary

This study falls at the heart of the ancient Arabic lexical heritage with a modern linguistic vision, according to the mechanisms of pragmatis that are concerned with the actual use of language as a discourse issued by a sender to a recipient, and as a discursive, communicative and social phenomenon at the same time between speakers in a linguistic and non-linguistic context, proceeding from the presupposition that the Arab heritage is a deliberative heritage par excellence.

On this basis, this study seeks to trace some of the principles of pragmatic linguistics and its features in the lexical industry in one of the largest and widest production, namely «Lisan al-Arab» by Ibn Mandhur, although they differ with him in terms of terminology from the conceptual apparatus of his counterpart in the West, but they meet in the same ideas, visions and scientific orientations between them

Keywords: lexicon, Lisan al-Arab, pragmatic linguistics, context

مقدمة:

عرف حقل المعجمية تناميا تصاعديا واضحا في السنوات الأخيرة حيث بدأ يشق طريقه نحو الاستقلال والتميز عن باقي الدراسات اللغوية التي كان يتعلق بها من علم الدلالة وعلم الأصوات والنحو والصرف وغيرها، مما جعله يكتسي أهمية كبرى على الصعيد اللساني والتعليمي والحضاري ككل، فالمعجم مظهر من مظاهر حفظ اللغة باعتباره مخزونا فكريا ولغويا لما يحتويه من ألفاظ ومعاني لمستعملي اللغة عامة، وللباحث في شتى دروب المعرفة خاصة.

يأتي معجم لسان العرب لابن منظور (ت711ه) على رأس المعاجم التي حفظت اللغة العربية والذي يعدّ عملا موسوعيا ضخما استقصى فيه صاحبه القاصي والداني من جهابذة اللغة، وضم بين دفتيه الشيء الكثير عن حياة العرب وثقافتهم وأسفارهم وأخبارهم ومغازيهم وأمثالهم وأقوالهم، وكذا البحث عن معان الألفاظ في ظل تعدد السياقات اللغوية المختلفة.

والناظر في هذه العناصر سيدرك تماما أن هذا العمل هو من صميم الدرس التداولي الذي يدرس المنجز اللغوي في سياق التواصل والاستعمال والتفاعل، لذلك أردنا في بحثنا هذا إظهار أهم آليات مقاربة البناء المعجمي التراثي للسان العرب على وجه الخصوص في ضوء المنهج التداولي الحديث.

بهدف الكشف عن آليات جديدة في كيفية الصناعة المعجمية الحديثة في ضوء تطور المناهج اللسانية من جهة، ومن جهة أخرى إعادة قراءة التراث المعجمي وذلك وفقا للرؤى النقدية واللغوية تماشيا وحاجيات العصر والتطور اللغوي والحضاري الحاصل.

وكي يستقيم الطرح نتبع الخطوات الآتية المتكونة مما يلي:

- تعريف التداولية
- التعريف بمعجم لسان العرب ومؤلفه
- قراءة تداولية في المعجم:

-الحجاجية في المقدمة

- السياق التداولي

1/ تعريف التداولية:

تعتبر التداولية (Pragmatique) منهجا لسانيا معاصرا يهتم بدراسة اللغة في سياق الاستعمار والتواصل والتفاعل ، ويعود أصله لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد "'سقراط" ثم تبعه "أرسطو" والرواقيون من بعده، لكنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلا على يد "باركلي" ، تغذيها طائفة من العلوم على رأسها الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع[1].

[1] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009، ص163..

وتعريفه كمفهوم يتضح من الآتي:

أ/ المفهوم اللغوي:

يرجع مصطلح التداولية إلى مادة (د، و، ل)، وتدور دلالتها في المعاجم حول معنى التحوّل والتبدل والانتقال والتناقل والاسترخاء وهذا ما جاء في معجم مقاييس اللغة في قوله :"أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: اندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب، تداول القوم شيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة و الدُولة لغتان، ويقال بل الدُولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا"[1].

أما في لسان العرب، فقد جاء في مادة (دَوَلَ): "الدُّولة والدَّولةُ: العقبة من المال والحرب سواء قيل الدُّولة بالضّم في المال والدَّولة بالفتح في الحرب، وقيل هما سواء، يُضمان ويفتحان، الدَّولة في الحرب أن تُدَال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدَّولة، والجمع الدَوْلُ والدُّولة بالضم في المال، والدَّولةُ اسم الشيء الذي يُتداول، وفي حديث الدعُّاء: حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودالتِ الأيام أي دارت، والله يداولُها بين الناس"[2].

الملاحظ أن مدار اللفظ "دول" هو الانتقال والتحول مع وجود أكثر من حال، فالتداولية لغة من التداول والتفاعل، وكل تفاعل يلزمه طرفان على أقل تقدير، وخطاب تحكمه عوامل تحيط به، وذلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى آخر لدى السامع.

ب/ المفهوم الاصطلاحي:

لعل أول تعريف لها يعود إلى الفيلسوف "تشارلز موريس" "CH.Moris" عام 1938، فقد اعتبرها جزءا من السيميائية، حيث ميز بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي: علم التراكيب التي يعنى بدراسة العلاقات بين الكلمات، وعلم الدلالة الذي يهتم بالمعنى الحقيقي للملفوظات، وأخيرا التداولية التي تدرس حسب رأيه العلاقات بين العلامات ومستخدميها[3].

ولم تصبح التداولية علما يعتد به إلا في السبعينات من القرن العشرين بعد أن قام بتطويرها فلاسفة أكسفورد، حيث درسوا اللغة وربطوها بكل ما يحيط بها أثناء التلفظ، فصارت التداولية تهتم بوصف العلاقة القائمة بين المرسل والمرسل إليه أثناء التواصل، وتعنى بالحدث اللغوي، لفهم قصد المتكلم[4].

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1991، الجزء الثاني، ص314

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ج11، ص252-253.

[3] آن روبول، جاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 2003، ص29.

[4] نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر، ص23-24.

أما فان دايك (Van Djik) فيعد التداولية " تخصصا يتناول اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتبليغية واجتماعية في نفس الوقت"[1]، فهي تكامل العديد من العلوم الحديثة من تحليل الخطاب واللسانيات الاجتماعية ونظرية التواصل حسب رأي فون دايك، وهذا ما يستنتج أيضا من تعريف الدكتور مسعود صحراوي للتداولية، قدم تعريفا شاملا مفصلا لها بقوله: "هو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية"[2]، هذا يعني أن التداولية تهتم بالمعنى الخطابي للكملة لا الدلالي فحسب، لأن هذا الأخير محكوم بقواعد نحوية صرفية ويحصر الكلمة في معناها المجرد، أما المعنى التداولي للكلمة يتجاوز هذا المفهوم ويتعدد بتعدد المواقف والسياقات، سعيا إلى تحقيق التواصل وبلوغ المعنى المقصود.

وهذا ما لمسناه من جملة ملامح الدرس التداولي في معجم لسان العرب لابن منظور -منهجا وتصورا- والتي تشكل عناصر إجرائية في الطرح التداولي الحديث، من قبيل الاهتمام بالمتلقي والسياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي وآليات الاحتجاج، وإن كان المقام لا يسعنا إلى التوسع في معطيات هذا المعجم الموسوعي، سنكتفي بعرض بعض المفاهيم التداولية في هذا المعجم من باب العرض والطرح لا الحصر.

2/ التعريف بمعجم لسان العرب ومؤلفه:

يعد معجم لسان العرب من أكبر المعاجم اللغوية التي تزخر بها المكتبة العربية، إذ يعد أوسع معجم في العربية، يضم بين دفتيه من أسفار العرب وأمثالها وأشعارها وأقوالها، ومن علوم اللغة نحوا وصرفا وأدبا، وضمن الشواهد من الشعر والحديث والقرآن الكريم، كما قدم شرحا مسهبا للمادة قد تصل إلى عشر صفحات أحيانا عكس فيها مظاهر حياة اللغة العربية والمجتمع، ألفه العالم اللغوي الجليل محمد بن مكرم أبي الحسن علي بن أبي القاسم المعروف بـ«ابن منظور الافريقي المصري"، فمن هو ابن منظور؟

هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرُّويفعي، الإفريقي، ولد بمصر وقيل في طرابلس الغرب سنة ثلاثين وستمائة الهجرة، وتوفي بها أيضا سنة إحدى عشرة وسبعمائة للهجرة، كان ابن منظور إماما لغويا، محدثا فقيها، يدل على ذلك معجمه لسان العرب الذي جمع فيه فأوعى، فهو من أئمة المؤلفين والشارحين والمختصرين[3].

---

[1] جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص43.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث للساني العربي، دار الطبعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005- ص:5.

[3] ناجي كامل حسن-المعاجم العربية، المستويات الدلالية والصوتية والنحوية-دراسات لغوية في الحدث-دار الكتاب الحديث القاهرة-1430هـ/2009م، ص:261.

بلغت عدد المواد اللغوية التي ضمنها اللسان ثمانين ألف مادة من كلام العرب، استقاها من خمسة كتب[1]:

1/ تهذيب اللغة للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370ه)

2/ المحكم للإمام أبي الحسن على بن إسماعيل ابن سيدة الأندلسي(ت458ه).

3/ الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت398ه).

4/ أمالي أبي محمد بن برى على الصحاح (ت582ه).

5/ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت606ه).

تعددت طبعات هذا المعجم عبر عدة سلاسل نذكرها[2]:

1/ طبعة بولاق-القاهرة في سنة1300-1308ه، وتقع في عشرين مجلدا.

2/ طبعة دار صادر في بيروت1955 -1956م، وقد ظهرت منجمة في65 عددا، ثم جمعت في 15 مجلدا ضخما، وهي طبعة جديدة في شكلها وإخراجها.

3/ طبعة بتحقيق الأبيار-القاهرة-الدار المصرية للكتاب بسنة 1965 م في عشرين جزءا.

4/ طبع اللسان طبعة جديدة سنة1970بعنوان (لسان العرب المحيط) قام بها يوسف خياط، ونديم مرعشلي، أعادا ترتيب ألفاظ المعجم حسب أوائلها، وألحقا به ذيلا بالمصطلحات الفنية والعلمية ومجموعة من الخرائط.

3)-قراءة تداولية في المعجم:

إن تطبيق هذا المفهوم التداولي والبحث عن آلياته في التراث العربي المعجمي، هو قراءة في وصف هذه اللغة ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها التواصلية التفاعلية، كما أنه تثمين لمجهودات المعجميين القدامى وما بذلوه في جمع وإحصاء وترتيب بعقلية وعبقرية فذة في شكل مجلدات تصل إلى الموسوعية، وهذا ما يحاول هذا البحث إثباته أو على الأقل لمس بعض من نقاطه لأن المقال لا يسمح لنا بذكر جميع مبادئ هذه النظرية-التداولية- ومحاولة البحث عن جذورها أو إسقاطها على التراث المعجمي، فاللغة العربية كما هو معلوم غنية بمفرداتها كما أنها قابلة للتوليد والاشتقاق، بتنوع مستعملها ومدى فاعلية صيغها الدلالية ذات القوة الإنجازية، كاستعمال الاستفهام والإخبار والنفي والاثبات وغيرها.

لذلك فدراستنا ستنحصر حول قراءة حجاجية في المقدمة وعرض أهم النقاط التي توضح مدى أهمية المتلقي لدى ابن منظور في ضوء منهجه المختار، ثم تسليط الضوء على السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي كمدخل لفهم اللغة ومعانيها في مختلف العلوم، على النحو الموضح في النقاط الآتية:

أ-/ حجاجية المقدمة:

---

[1] ابن منظور-لسان العرب-المقدمة: ص8.

[2] محمد علي عبد الكريم الرديني-المعجمات العربية-دارسة منهجية دار الهدي-الجزائر-ط2، ص:94.

اتفقت المعاجم العربية القديمة منها -على وجه الخصوص- بعرض خاص يسبق الأبواب والفصول وهو عبارة عن مقدمة شملت العديد من النقاط أو المفاتيح التي تساعد على طريقة الكشف فيه من خلال وضوح منهجه وطريقة ترتيب المادة ومصادر جمع اللغة وأسباب اختيار العنوان والتأليف، واختلفت في الطول والقصر كما انفردت بدراسات لغوية ولسانية جادة كالصوتية والصرفية وغيرها فهي إذن: "تقدم له وتشرح ظروف إنتاجه ومكوناته ومنهجه الذي انطبع به في المعالجة"[1]، ولذلك تعد المقدمة نصا مرتبطا بالطابع الاجتماعي والثقافي للمؤلف والقارئ معا.

وهذا بالفعل ما استهل به ابن منظور معجمه، حيث نجد أن مقدمته كانت مبنية على حجج مقنعة علمية ولغوية ودينية وبراهين استمدها من المعطيات الاجتماعية والسياسية والثقافية، أراد من خلالها إقناع المتلقي بجدوى صناعته وفاعليتها في الحفاظ على اللغة العربية والمحافظة على الدين الإسلامي من عجمة الاختلاط.

بداية نعرج على مفهوم الاحتجاج في اللسانيات التداولية عند برلمان في قوله هو: "جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع"[2]، فالحجاج يستعمل اللغة بشكل أساسي في كل خطاب لهدف واحد وهو إقناع الطرف الآخر-المتلقي.

وأهم ما ترتكز عليه دلالة الحجاج هو: "وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية والمتلقي لها، ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره، بتقديم الحجة والدليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيها، وبالتالي إقناعهم بمقصد معين"[3]، فالحجاج حسب هذه التعاريف يأخذ مجرى التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقي وإذعانه نظريا مجردا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء و توجهات، وبمقتضى هذا التعريف جاءت الحجج والمقاصد من هذا المعجم في مقدمته، لأنه من عادة القارئ أن يبدأ بقراءة المقدمة قبل المتن، ومن ضمن الأقوال الإقناعية التي رصدناها فيها، نذكر ما يلي:

***الحجاجية على مستوى المنهج:**

[1] مصطفى احمد قنبر-خطاب المقدمة في التأليف العربي-دراسة تحليلية في مصنفات مختارة-المركز الديمقراطي العربي-برلين-ألمانيان-ط1-2021-ص:19.

[2] سامية الدريدي-الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة-بنيته وأساليبه عالم الكتب الحديث-جدار للكتاب العالمي-الأردن ط1-1428هـ-2008م.ص:21.

[3] مها خير يك ناصر، اللغة العربية والعولمة في ضوء النحو العربي والمنطق الرياضي. مجلة التراث العربي، ع102،2006-ص:102

..

تحدث في مقدمته-ابن منظور-عن شرف اللغة العربية وارتباطها بالقرآن الكريم، ووصف منهجه ودوافع تأليفه، وفصل المقدمة عن المتن ببابين، أولهما: باب لتفسير الحروف المتقطعة من بدايات سور القرآن الكريم وبرر ذلك بتبركه بتفسير كلام الله تعالى، وباب ثاني جعله لألقاب الحروف وطبائعها وخواصها ومعانيها.
ثم أسس منهجه بعدة خطوات ذات سمات تداولية، وهي:

-حسن الجمع مع جودة العرض سعيا منه لإيجاد أحسن سبل توصيل المعلومة للمتلقي وإقناعه بمحتواها وضرورة تعلمها حين صرح بقوله: "وإني لم أزل مشغوفا بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها، وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفع إجادة الوضع مع رداءة الجمع"[1].

- اختيار منهج القافية في ترتيب مادته المعجمية، فالحرف الأخير لجذر الكلمة للباب والحرف الأول للفصل وهذا ليسهل على الناس الانتفاع به والاغتراف من علمه، مقتفيا أثر الجوهري في الصحاح والذي اعتبره أحسن ترتيب وأيسره على الناس، بقوله: "ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيبه مختصرا، وشهره بسهولة وصنعه...،فخف على الناس أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه" [2].

فهذا توجه تداولي صريح، رأى من خلاله ابن منظور أن الفائدة المرجوة من كتابه رهينة بشموليته وسهولة تناوله، وبالتالي استحسانه من طرف المتلقي أو الجمهور، كما نلمس عنايته بهم من خلال الاستطراد والتنويع في الأسلوب، قصد الترويح على المتلقي وشد انتباهه وذهنه دون كلل أو ملل مما يشبع نهمه المعرفي، ويحقق مقصد المؤلف التداولي.

- اعتمد ابن منظور، على مبدأ الانتقاء في رصد البنية الشكلية للمواد اللغوية، إما بالتصريح لغة كأن يقول بالفتح أو بالضم أو بالكسر، أو الإشارة إلى ميزانها الصرفي وهو بهذا سهل على القارئ تعلم اللغة العربية الصحيحة الخالية من التحريف والتصحيف[3].

- التوسع في إيراد المعاني المختلفة للمادة الواحدة، ومن المواد ما أبلغ شرحها ثلاث صفحات أو زيادة ذاكرا مستوياتها اللغوية الصرفية والنحوية والدلالية كالتذكير والتأنيث، التعدي، التصغير، والأساليب كالتعجب والاستفهام والمستويات الدلالية كالمشترك اللفظي.

---

[1] ابن منظور-لسان العرب المقدمة-دار صادر-بيروت-المجلد الأول-01فيفري2009، ص:7.

[2] المصدر نفسه، ص08..

[3] العمري بن رابح بلاعدة القلعي، الألمعية في الدراسات المعجمية، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص124.

- اعتنى بأشعار العرب، واللغات والنوادر والأخبار، والأنساب والتراجم[1]، وإيراد الكثير من لغات القبائل، حتى يجد القارئ فيه ضالته من معارف مختلفة كالأدب والنحو والصرف والتاريخ والفقه والحديث، فكان بمثابة موسوعة ضخمة شاملة لكل المعارف.

- قدم ابن منظور الكثير من الحجج والبراهين اللغوية كتقنيات للإقناع ضمن سياقات لغوية أو استشهادات متنوعة كانت على رأسها آيات من القرآن الكريم والحديث النبوي تماشيا ومقصده وسبب التأليف والكثير من الأشعار وهذا بقوله :"وقصدت توشيحه بجليل الأخبار ، وجميل الآثار، مضافا إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم، والكلام على معجزات الذكر الحكيم ليتحلى بترصيع دررها عقده، ويكون على مدار الآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حله وعقده"[2].

***الحجاجية على مستوى أسباب التأليف:**

من أهم أسباب تأليف معجم لسان العرب قوله: "فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية واللسان، ويخالف فيه اللسان والنية، وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يُعد لحنا مردودا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية"[3].

إذا نظرنا إلى هذا النص نلاحظ مجموعة من الأفعال الكلامية المكونة من (كما رأيته، لقد أصبح، صار النطق، تنافس الناس ، تفاصحوا...) التي أدت إلى تأليف اللسان والتي قد تدرجت تدرجا منطقيا باستعمال الرابط الحجاجي (الواو)، فبعد أن تأكد ابن منظور من ضرورة تأليف معجمه استخدم الرابط (الفاء) في قوله "فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون ، وصنعته كما صنع الفلك وقومه منه يسخرون، وسميته لسان العرب"[4].

وبهذا فإن حجج ابن منظور قامت على الرؤية والنظر في الواقع المعاش الذي تفشى فيه اللحن والخطأ وفساد اللسان دون إحساس بجسامة ذلك على الدين والأمة، وهجرة اللغة العربية بالنسبة له هو هجر لكتاب الله، فتصدى لذلك وقام بقراءة أجود المصادر العربية وما تفرق في بطونها وجمعها في كتاب واحد سماه (لسان العرب).

---

[1] المرجع السابق، ص124.

[2] ابن منظور، لسان العرب، المقدمة، ص7-8.

[3] المصدر نفسه، ص8.

[4] ابن منظور، لسان العرب، المقدمة، ص8.

والملاحظ هنا هو انتقال الأفعال الكلامية (رأيت-يقين-صارت تنافس السلبي-جمعت-صنعت-سميته لسان العرب-وجود معجم) ، والتي تنتقل من ذكر أسباب التأليف وتدرجت معها الحجج القولية إلى الحجج الفعلية والمجسدة في مؤلف ورقي أقل ما يقال عنه أنه تطبيق فعلي لمقولات تداولية، ابتداء من خطاب المقدمة التي نقل فيه اللغة من الكمون إلى الإنجاز ثم إلى التداول و الاستعمال بين الناس.

ب/السياق التداولي:

أدرك علماء اللغة قديما وحديثا أهمية السياق ودوره في الحدث الكلامي، باعتباره أهم قرينة مساهمة في فهم المعاني ودلالتها، تنوعت تعاريفه وتوسعت، نذكر منها ما أشار إليه فندريس بقوله : "الذي يعينُ قيمة الكلمة (...) هو السياق، إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها"[1].

وقد أثبتت العديد من البحوث والدراسات جذوره في البلاغة العربية وتنوع المقابل الاصطلاحي لها، وما يهمنا في هذا البحث هو إثبات تداوله في تحديد معاني الوحدات المعجمية وكيفية معالجتها من منظور تداولي بنوعيه اللغوي وغير اللغوي وتجلياته في معجم لسان العرب لابن منظور.

أ/ السياق اللغوي:

جاء تعريف السياق اللغوي عند ستيفن أولمان على أن "كلمة السياق قد استعملت حديثا في عدة معان مختلفة والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي أي النظم اللفظي للكلمة، وموقعها في ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة"[2]، فهو إذن دلالة الوحدة اللغوية وفقا لما يجاورها من تركيب، ويسمى أيضا بالسياق المقالي ويراد به "استخدام الكلمة التي يفسرها المعجم ويشرحها في عبارات وجمل توضح معناها، أو من خلال الشواهد، والشواهد في اللسان متنوعة من القرآن والحديث والشعر والأمثال وكلام العرب"[3]، وكأمثلة عن ذلك – السياق اللغوي - نذكر:

***المشترك اللفظي**

- مادة أَرِبَ: وتعني:

"أرب: الإرَبَة والإرْبُ: الحاجة (...) وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمْلَككمُ لإرْبِهِ أي لحاجته)"[4].

"وقال شمِرُ: سمعتُ الأعرابي يقول: أربْتَ في ذي يديك، معناهُ ذهب ما في يديك حتى تحتاج"[1]

---

[1] جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950، ص131.

[2] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، دار الغريب، القاهرة، 1962، ط1، ص221.

[3] حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1997، ط1، ص273.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص208.

"أرِبَ الدَّهر: اشتد(...) والإرْبُ والإرْبة والأرْبةُ والأرْب: الدَّهاء والبصر بالأمور"[2].

"والإرْبُ: العضوُ المُوفَّر الكامل الذي لم ينقص منه شيء، ويقال لكل عضو إرْبُ، يقال: قطعته إرْبًا إرْبًا أي عضوًا عضوًا"[3].

" وقال أبو عبيد: التأريبُ: الشحُّ والحرص. قال: والمشهور في الرواية وتأريبُ على اليسير، عوضا من الخطر، وهو أحد أيْسَار الجزور، وهي الأنصباَءُ، والتأرب: التشدد في الشيء، وتأرب في حاجته: تشدّد (...) والتأريبُ: التحريشُ والتفْطين(...) والأرْبَة: أخيّة الدابّة (...) والأُرْبَة: قلادة الكلب..."[4].

الملاحظ أن مادة "أرب" أخذت عدة معاني مختلفة كالحاجة والشدة والقطع والشح والتحريض وأخية الدابة وقلادة الكلب وغيرها، وأن ابن منظور كان يلجأ للشواهد اللغوية حتى يوضح معنى المفردة فكان السياق اللفظي وسيلة لتحديد القصد من القول وتوضيح المعنى الاستعمالي لها.

- وورد في لسان العرب أيضا ما لا يستدل على معناها الصحيح إلا إذا وردت في النفي، نذكر منها:

- مادة "نبِسَ":

"نبس: نبَسَ يَنْبسُ نَبْسًا: هو أقل الكلام وما نبس أي ما تحركت شفتاه بشيء، وما نبس بكلمة أي ما تكلم (...) وأصل النبْسُ: الحركة ولم يستعمل إلا في النفي"[5].

- مادة "نقرة":

يقال ما أتابه نقرةً أي شيئا لا يستعمل إلا في النفي، قال:

وهُنَّ حرَّى أن لا يُثبْنَكَ نَقْرَةً وأَنْتَ حري بالنار حين تُثيبُ"[6]

- مادة "اَكثرت":

"يقال: ما أكثرت به أي ما أبالي به، ولا يستعمل إلا في النفي"[7].

هذه بعض الأمثلة التي حاولنا إظهار دلالات اللفظ وفقا لورودها في سياقها اللغوي ضمن شواهد استدل بها ابن منظور، وهي كثيرة في معجمه.

***السياق غير اللغوي:**

---

[1] المصدر نفسه، ص208.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص211.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص211.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص213.

[5] لسان العرب، ج6، ص35.

[6] المصدر نفسه، ج5، ص231.

[7] المصدر نفسه، ج2، ص180.

السياق غير اللغوي هو: "جملة العناصر غير اللغوية المكونة للموقف الكلامي من شخصية المتكلم والسامع، والعوامل الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف، وعلاقات الزمان والمكان وسائر الظروف المحيطة بالكلام، والتي تسهم في تكوينه وتؤثر فيه"[1]، وهذا ما أقره التداوليون وأعادوا له الاعتبار –السياق- بعدما أهمله البنيويون، يقول باتريك شارودو، ودومينيك منغونو" إن جل اللسانين يقبلون اليوم أهمية السياق ويعترفون بأن النشاط اللغوي ظاهرة اجتماعية من جهتين: فهو محدد بالسياق الاجتماعي وهو في ذاته عمل اجتماعي"[2].

وعليه فالسياق غير اللغوي هو الظروف والأحوال التي تصدر فيها مجموعة من الملفوظات تحول معناها الحرفي المعجمي أو المعنى الأساسي للمفردة إلى معان جديدة تُستدل من خلال الظروف الاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد والأديان وغيرها من الملابسات الخارجة عن إطارها اللغوي.

سنتبع بعض من مظاهر هذا السياق خاصة الاجتماعي والثقافي والديني منه في معجم لسان العرب على النحو الآتي:

- قال ابن منظور في مادة "حَرَمَ": "الحِرْمْ، بالكَسْر، والحرامُ : نقيض الحلال، وجمعُهُ حُرُمُ (...) والحرامُ : ما حرَّم الله (...) ويُرْوى محارم الليل أي أوائله، الأزهري :الحريم الذي حُرِمَ مَسُّه فلا يُدْنَى منه، وكانت العرب في الجاهلية إذا حجَّت البيت تخلعُ ثيابها التي عليها إذا دخلُوا الحرمَ ولمْ يلبسُوها ما دَامُوا في الحرم (...) وقال المفسرون في قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عُراةً ويقولون لا نطوف بالبيت في ثياب قد أذنبنا فيها (...) الجوهري : من الشهور أربعة حُرُمٍ كانت العرب لا تستحل فيها القتال"[3].

فالحرم شعيرة من شعائر العرب في الجاهلية فقد كانوا يطوفون ببيت الله عراة، حيث كانوا يبدلون بعض الأشهر الحرم بغيرها من الأشهر، ويحلون ما كان محرماً في هذا الشهر، فجاء الدين الإسلامي ليحدد زمان الأشهر الحرم وحددها بأربعة أشهر كما حدد نوع اللباس أثناء الطواف وأثناء الإحرام بلباس خاص بالرجال وأن تبقى النساء على سترتها ولا تتعرى.

نلاحظ هنا أن هذا النص يحوي العديد من الملابسات غير اللغوية التي تمس الزمان والمكان واللباس والشعائر والأديان، وفهم هذه السياقات الاجتماعية والدينية يساعد على فهم المقصود من اللفظ في ظل تداولها.

---

[1] محمود السعران، علم اللغة، مقدمة القارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص311.

[2] باتريك شارودو، ودومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي حمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة ، تونس، 2008، ص134.

[3] لسان العرب، ج12، ص131.

- ومن بين السياقات الاجتماعية التي كانت مساعدة على فهم المعنى هو ذكر معناها عند أهلها وقبيلتها كقوله: "كما قال أهل الأعراب" أو بعض أعراب عُمان" أو "بلغة أهل اليمن" وكمثال عن ذلك نذكر:

- **مادة 'الحَبْنُ":**

مادة "الحَبْنُ: الدِّفلى، وقال أبو حنيفة : الحبنُ شجرة الدفلى ، أخبر بذلك بعضُ أعراب عُمان"[1]

- **الحرشف:**" وقيل: بنتُ يقال له بالفارسية كنكره، ابن شميل، الحرشف الكُدَسُ بلغة أهل اليمن"[2]

- **وفي باب الإعجاب**، نذكر مثلا:

مادةُ بِخٍ: قال ابن السكيت: بَخٍ بَخٍ وبَهٍ بَهٍ بمعنى واحد ، قال ابن سيدة: وإبل مُبَخْبَخَة يقال لها بَخٍ بخٍ إعجابًا بها"[3].

إن ما قدمناه من أمثلة إنما هي قطرة من بحر فلا المقام البحثي يسعنا بأن نذكر جميع السياقات اللغوية وغير اللغوية ولا حتى حجمه الموسوعي الذي يحتاج منا ردحا من الزمن لقراءته ودراسته، فالقارئ المتمعن يدرك حقا المنحى التداولي في معالجة المفردة في متن المعجم على غرار مداخلها أو وحداتها المعجمية فتعاطى المعجمي ابن منظور المفردة وفقا لأساليبها اللغوية المتنوعة مستثمرا في ذلك الظواهر الاجتماعية والثقافية كان داعيا إلى انتحاء منحى دراسي يتجه بالكلمة من معناها الدلالي المجرد إلى معناها الاستعمالي التداولي.

خاتمة:

يتضح من هذا العرض الموجز أن معجم لسان العرب ثروة لغوية وموسوعة معرفية جمع فيها شتات اللغة العربية وحرص على إحياء لغة القرآن والحديث النبوي الشريف، فأحسن الجمع والتأليف، جعلت منه عملا أبديا تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل، ويمكن أن نلخص أيضا على ضوء ما سبق جملة من ملامحه التداولية في الآتي:

- بدأ ابن منظور معجمه بخطاب تداولي نقل فيه اللغة من الكمون إلى الفعل والإنجاز، عرض مجموعة من الحجج والبراهين تؤكد حسن جمعه وانتقاء مصادره.

- منهج ابن منظور في اللسان تداولي بامتياز، استحضر فيه العديد من آليات ومقومات اللسانيات التداولية كاهتمامه بالمتلقي وانتقاء سبل الإقناع والاحتجاج.

- توسع في ذكر الأمثلة والشواهد ليضمن حسن الشرح والتوضيح من جهة وليشمل مختلف الفئات والثقافات مراعاة لمقاصد المتكلم وأحوال المخاطب من جهة أخرى.

---

[1] لسان العرب، ج13، ص106.

[2] المصدر نفسه، ج9، ص46.

[3] المصدر نفسه، ج3، ص6.

- للسياق أثر واضح في شرح المفردات واشتمل بنوعيه اللغوي وغير اللغوي.

- ضرورة إعادة كتب التراث المعجمي القديم وفق رؤى نقدية معاصرة تتماشى مع مقتضيات العلوم اللغوية الحديثة كاللسانيات والأسلوبية وتحليل الخطاب والتداولية.

قائمة المصادروالمراجع:

1- أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، دار الغريب، القاهرة، 1962.

2- بوقرة نعمان، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديثة، جدار الكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009.

3- حسن ناجي كامل، المعاجم العربية، المستويات الدلالية والصوتية والنحوية، دراسات لغوية في الحدث، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1430ه/2009م.

4- خليل حلمي، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1997.

5- الدريدي سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، الردن، ط1، 1428ه/2008م.

6- دلاش جيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.

7- بن رابح العمري بلاعدة القلعي، الألمعية في الدراسات المعجمية، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

8- الرديني محمد علي عبد الكريم، المعجمات العربية-دراسة منهجية، دار الهدي، الجزائر، ط2.

9- روبول آن، موشلر جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الثيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 2003.

10- السعران محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.

11- سعودي نواري أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، الجزائر.

12- شارودو باتريك ، ومنغونو دومينيك، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي حمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة ، تونس، 2008.

13- صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث للساني العربي، دار الطبعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

14- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط محمد هارون.، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1991، الجزء الثاني.

15- قنبر مصطفى أحمد، خطاب المقدمة في التأليف العربي-دراسة تحليلية في مصنفات مختارة، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، ط1 ،2021.
16- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الأول،01فيفري2009.